أنسى الحاج

كل واحد منى جزيرة
وصحراء و إخوة وأشرار
كل واحد منى واحة
بعمق اماء واستراحة الجنون

قصيدة (محور الزئبق)
ديوان (ماضى الأيام الآتية)

القنفذ المضطرب فوق النهار !!

وصفه أدونيس في (**فاتحة لنهايات القرن**) ١٩٨٠ بأنه (**الأنقى**) بين الشعراء . . حيث الآخرون ملوثون بالتقليد . . .

ووصف هو نفسه (**بالشاعر الملعون**) . . فقصيدة النثر نتاج شاعر ملعون، ابن عائلة من المرضي علي رأسهم الشاعر الفرنسي رامبو . . حدد (الجنون) و (**نهب المسافات**) و (**التعزيل المحموم**) و (**الهستوة المستميتة**) أسلوبًا لمقاومته هذه البلاد . . . وكل البلاد المتعصبة لرجعيتها وجهلها . .

أنسي الحاج(*) . . .

شاعر قصيدة النثر الأشهر . . وصاحب البيان النظري الأول لها في مقدمة ديوانه (**لن**) ١٩٦٠ .

كان في الثالثة والعشرين يوم أصدر ديوانه الأول (**لن**) ، لم يجرب قبله كتابة شعرية أخري . . فقد خلق (**حداثيًا**) ولم يصبح كما يتباهى .

و لدأنسى الحاج في (قيتولة) بالجنوب اللبنانى عام ١٩٣٧ . . ماتت أمه وهو في السابعة من عمره بالسرطان ، تاركة له إحساسًا عميقًا بالذنب وأربعة إخوة . . وحين تزوج والده مرة أخرى ، صار له إخوة آخرون لا يعرفهم . . عمل بالصحافة منذ عام ١٩٥٦ . . وإلى اليوم .

* * *

(*) جريدة أخبار الأدب - القاهرة - ٦/ ١٢/ ٢٠٠١م .

فى الطابق الثامن من بناية جريدة النهار ، بمنطقة الحمراء فى بيروت وخلف مكتب أسود أنيق ، جلس أنسى الحاج رئيس تحرير جريدة النهار أكبر الصحف اللبنانية وأوسعها انتشاراً .

حين بادرته بعزم (**أخبار الأدب**) عمل ملف خاص عنه ، ورغبتنا فى إجراء حوار معه . . لم يكتف بالاعتذار ، ولكن واصل استطرادات مخيفة .

– أنا أحتقر الصحافة وأنفر من الإعلام !

– لست (**نجمًا**) كفيروز لتلاحقنى الصحف . . ولست (مهرجًا) كأدونيس لأروج لنفسى ! !

– لست (....) لأكتب الشعر وأمارس الصحافة وأرد على أسئلة وأروج لحالى !

– لم يكتب عنى ناقد مصري واحد . . ! !

بدا المشهد مضطربًا ، وفى مساحة أخرى بدا استعراضيًا فى مبالغته ؛ خاصة مع وجود الشاعر عباس بيضون والفنان وليد عونى ، الذى تصادف وجودهما فى اللحظة نفسها . . ليكونا شهوداً على ذلك المشهد الكابوسى . فالذى يحتقر الصحافة لمجرد طلب الحوار معه يعمل فيها منذ خمسين عامًا ، ولا يشعر باحتقارها ، وهو يسكن قمتها متربعًا فوق رئاسة تحرير أكبر الصحف ، متمتعًا بكامل سلطتها ومكانتها وأموالها !

والذى ينفر من الإعلام ، أبدى أمامى انزعاجًا مبالغًا من قيام جريدة « **الحياة** » بترجمة حوار معه عن الألمانية ، دون نشر صورته والتنويه عن الحوار فى الصفحة الأولى .

* * *

أنسى الحاج لا يعرفه أحد فى مصر . .

ذلك هاجس الاقتراب وسعى التواصل ، فى ضوء رفضه الدائم لكل الدعوات للمشاركة فى المؤتمرات والمهرجانات واللقاءات الشعرية مع عدم توافر كتبه أو ارتفاع أسعارها إن وجدت . . ثم أخيراً مع إصراره على (**التعزيل المحموم**) وعدم التواصل .

– لا أريد أن أعرف فى مصر .. ولا أريد أن أعرف على الإطلاق ! .

– ملأ جبران العالم .. وكتبت الرسائل الجامعية والمقالات عنه بكل اللغات؛ لأنه عرف دائماً مجموعة من (النسوان) قاموا بالترويج له !!

(صحيح إن جبران خليل جبران كان صديقًا لمى زيادة ولمارى هاسكل التى أعانته مادياً . . لكن من الفجاجة اختصار مجده فى علاقات نسائية قام بتوظيفها) .

قطع أنسى انفعاله الحاد بضحكة عالية موجهًا حديثه هذه المرة إلى عباس بيضون ووليد عونى . . الشعراء يتكالبون على إجراء الأحاديث الصحفية ، بينما أغضب أنا لإجرائه !

تحرك الماغوط قبلك . كتب قصيدة (الحزن فى ضوء القمر) عام ١٩٥٩ ، بينما كتبت أنت البيان التأسيسى الأول لقصيدة النثر فى مقدمة (لن) عام ١٩٦٠ .. وقد اعتبرت أنت موقف الماغوط الأصح شعرياً من حيث ابتعاده عن الهموم الثقافية .. فماذا عن همومك الثقافية؟

مرة أخرى غضب أنسى . .

أبدى استياءه من مفردة (تحرك) الماغوط و (قبلك) . .

- أنا صاحب أول وثيقة فى قصيدة النثر المكتوبة بالعربية . . ديوان (لـــن) هو الكتاب الأول المعرف نفسه بقصيدة النثر والمكتوب بهذه الصفة تحديدًا . . والمتبنى لهذا النوع تبنيًا مطلقًا .

أنسى الحاج هو الأول دائمًا . . تلك خصلته الأساسية ، وذلك سعيه المستمر . .

كان يصاب بالمرض الفعلى إذا صار (الثانى) فى صفه الدراسى وليس الأول . . وكان والده يستنجد بالأساتذة (سيموت لو لم تعطوه الدرجة الأولى) .

لكن محمد الماغوط كتب قصيدة النثر قبله . . نشرت (**مجلة شعر**) عام ١٩٥٩ مجموعة (**حزن فى ضوء القمر**) . . كذلك نشرت المجلة لجبرا إبراهيم جبرا فى العام نفسه مجموعته (**تموز فى المدينة**) . . ونال الماغوط أول جائزة لجريدة النهار ، تمنح لأفضل قصيدة نثر ، وقدرها ٥٠٠ ليرة لبنانية .

وكتب أدونيس دراسته حول قصيدة النثر فى العدد ١٤ من مجلة شعر فى السنة الرابعة ١٩٦٠ . . قبل صدور ديوان (**لـــن**) لأنسى الحاج . . حقائق لا تفسد عن أنسى الحاج (دوره) ولا تزحزح (مكانته) غير المحددة فى حركة الشعر العربى .

* * *

لأنسى الحاج ٨ دواوين بالعربية . . (**لن**) ١٩٦٠ ، (**الرأس المقطوع**) ١٩٦٣ ، (**ماضى الأيام الآتية**) ١٩٦٥ ، (**ماذا صنعت بالذهب ، ماذا**

صنعت بالوردة) ١٩٧٠ ، (الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع) ١٩٧٤ ، (كلمات ، كلمات ، كلمات) ١٩٧٨ ، (خواتيم) ١٩٩١ ، (الوليمة) ١٩٩٤ .

* * *

فى مقدمة (لن) وصل أنسى إلى انتهاك خطاب الهوية العربية بشكل عاصف ، وهو ما استحق دائمًا نقمة العروبيين عليه أكثر من أى شاعر آخر ؛ خاصة فى رؤيته الشعرية المستندة على شروط (المجانية) كشرط أساسى للكتابة . . وفى موقفه الحاد من الثقافة العربية . .

- (أشعر بالغربة في المقروء العربى . . قراءة العربية تصيبنى بملل لا حد له) .

- ما أبحث عنه أجده فى اللغة الفرنسية ، لأن الفرنسية هى لغة (الانتهاك) بينما العربية لغة (مقدسات) . .

- (إن تخون تقليداً عربيّاً . . ليس شرفًا لنا وحسب ، بل هو قبل ذلك عمل طبيعى إحساسى . . لقد ظلمنا هذا التقليد ، ولا يقدر إلا أن يظلمنا فهو سجين ، بل هو السجن . . وشرط الحرية هدم هذا السجن ، هدمه على من فيه ، إن لم يستطع تخليص من فيه من أنفسهم) . .

- لا علاقة لنا بالشعر الجاهلى - الأموى - العباسى الرجعى المعاصر لأننا نحن (المعاصرون) . . لأننا شاهدو حياة مختلفة مستقلة .

وحول التأثيرات الفرنسية على أنسى الحاج ، يكتب محمد ديب أستاذ الأدب المقارن فى جامعة (البرتا) بكندا :

« اتكاء الحاج على رامبو واستشهاده به بوصفه مخترع لغة وشكل ، وبوصفه ممثلاً بارزًا لعائلة من المرضى استطاعت أن تخلق قصيدة النثر ، يعززان اعتقادنا بأن الحاج يقرن نفسه بهوية رامبو فكريّاً وفنيّاً معًا . . كما أن استخدامه للعبارة المشهورة (شاعر ملعون) واسترساله فى تفريعاتها يؤكد لنا أنه واقع كذلك على نحو ما تحت تأثير الشاعر - الناقد - الفرنسى - فيرلن وتحت تأثير مفهومه لمن أطلق عليهم « الشعراء الملعونين » .

يعترف أنسى الحاج فى - مقدمته - بدينه لكتاب سوزان برنار : (إننى أستعير بتلخيص كلى تحديد ماهية قصيدة النثر من أحدث كتاب فى هذا الموضوع بعنوان : قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا للكاتبة الفرنسية سوزان برنار) لكنه يعود فى عدد الآداب الأخير الذى تناول تجربة مجلة شعر (أكتوبر ٢٠٠١) لتوضيح ذلك الاستناد على المرجع الفرنسى :

(لقد فعلنا ذلك ظنًا منا أن الاستشهاد بباحثه أكاديمية رصينة قد يعيننا على ترسيخ ما لا وجود لمثله فى تراثنا . . ولكن الحقيقة إننا لم نكن فى حاجة إلى هذا الاستقواء . . ولا أحد فى مشاريع الخلق يحتاج إلى مراجع) .

ولعل أنسى أحد الذين وصفهم الماغوط من شعراء (مجلة شعر) (قل لأحدهم ثلاث مرات : المتنبى . . يسقط مغشيًا عليه . . بينما قل له على مسافة كيلومتر جاك بريفير فينتصب ويقفز عدة أمتار عن الأرض . . كأنه شرب حليب السباع لأن هذا غربى وذاك عربى) .

* * *

تولى أنسى الحاج سكرتير تحرير (**مجلة شعر**) ١٩٦٤ فى إصدارها الثانى بعد خروج أدونيس منها . . كان من أكثر الحريصين على الهوية اللبنانية المنفصلة عن كل الهويات . .

وحين خصصت المجلة بعض أعدادها لقضايا قومية كالثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية ، أعتبر أنسى ذلك استسلامًا لإغراء (المراعاة للمزاج السائد) ورأى أن الأمر كانت (المجلة بغنى عنه ، كما هو فى غنى عنها . . كل واثق من صدقه وإخلاصه) . . .

خرج أدونيس من مجلة شعر ١٩٦٤ بعد أن وصل التناقض منتهاه ؛ خاصة فى قضية (جدار اللغة) تلك التى تبناها الشاعر يوسف الخال مؤسس (مجلة شعر) . . فى إستخدام الفصحى دون استخدام الحركات ، أى استخدام الفصحى المحكية كما تنطق فى الحياة اليومية . . وهو ما ظنه البعض (دعوة إلى العامية) .

لكن لماذا يتحامل أنسى الحاج على أدونيس ؟

ليس فقط (جدار اللغة) - لكن أنسى يظن دائمًا - كما يؤكد أصدقاءه - إن أدونيس يتآمر عليه والدليل واقعة باريس . . حين رتب أدونيس منذ سنوات أمسية شعرية فى باريس ، دعى إليها أنسى الحاج وعباس بيضون .

لم يذهب أنسى حيث اعتبر الأمر (إهانة) فكيف له أن يقرأ الشعر مع آخر . . أو كيف له أن يقرأ الشعر مع عباس بيضون (!!) وسافر بيضون إلى باريس وشارك فى الأمسية . لكنه ظل غاضبًا من موقف أنسى الحاج

لأكثر من ٤ سنوات ، ولعلها الصدفة المدهشة التى ساقته إلى مكتب أنسى الحاج لأول مرة بعد تلك القطيعة الطويلة . . لتجعل منه شاهداً على الموقف المضطرب .

* * *

استعاد هدؤه قليلاً . .

عبلة أرجو ألا تعتبرى اعتذارى موقفًا من الثقافة المصرية . . فأنا أحب مصر وأحب ثقافتها . . لقد كان عاصى الرحبانى يغضب منى ، ويتهمنى بحب عبد الوهاب أكثر من فيروز .

لم أعلق على تلك العلاقة بالثقافة المصرية ، فقد شغلتنى (**فيروز**) التى أحبها أنسى كما لم يحب قط . . كتب عديداً من القصائد وديوان (الرسولة بشعرها الطويل حتى الينابيع) . .

حكايات طويلة يتبادلها اللبنانيون عن عشق أنسى لفيروز . . حكايات عن حب من طرف واحد . . (**طرف أنسى بالطبع**) وحكايات عن ارتباك حياة فيروز وعاصى الزوجية (**قبل رحيله**) بسبب ذلك الحب الوافد . .

ومن قبل أن أسأله شيئًا . . بادرنى منفعلاً ستسألينى عن (**فيروز**) . (**وقصيدة النثر**) ، (**وديوان لن**) و (**مجلة شعر**) . . الموضوعات نفسها ، والأسئلة نفسها لقد مللت (!!) .

أدرك أنسى أننى أريد الإمساك به . . هو الهارب غريزياً من كل محاولات الإمساك به . . لم يحتمل أسئلة قادمة من عوالم مختلفة

مغايرة لعالمه المسكون بالليل والغناء والصمت والغيوم والملائكة ، بالغ فى العزلة والاعتزال . . وعلى مدى يومين متتاليين كان لقائى بأنسى الحاج محمومًا . . هو يمارس انفعالاً غير مبرر ، واحتفظ أنا بهدوء - (ليس من عاداتى) - حتى فاض بى الكيل تمامًا : أسفة يا أستاذ أنسى لا أحب الحوار معك !

* * *